من تراب الطريق (٤٤٥)

الشَّص! (*) (١)

وقفت متأملا حائرا فى هذا العنوان : «الشِّص» .. الذى اتخذه أستاذى وأبى الروحى صاحب الأفضال التى لا تعد ولا تحصى ، الأستاذ الكبير المحامى الشاعر الأديب محمد عبدالله محمد .. واتخذه عنوانا لإحدى قصائده فى ديوان «العارف» .. وزادت حيرتى حين طفقت أقرأ أبياتها ، محاولا أن أستخلص سبب اختيار الأستاذ محمد عبدالله محمد «للشّص» عنوانا لقصيدته التى يبدؤها بلغة العيون وإطراء المحاسن ، فجعلت أتساءل أى عيون يقصد ، وإلى أى حلاوة يرمى ، وإلى أى مجد يرمز ، فهو على الدوام عميق الأغوار يلزمك التأمل الطويل حتى تستخلص رؤيته من الأعماق لتطفو فى النهاية إلى ما يريد محمد عبدالله محمد أن يبديه لك . يقول :

عَيْنُكِ الحُلْوَةُ مَجْدٌ فاحْمِلِى ذَلِكَ المَجْدَ بِقَلْبِ الشَاكِرِ
تِيهِى مَا شِئْتِ هَنِيئًا إِنما جَنَّبى العَيْنَ حِسَابَ التَاجِرِ
لا تَخَافِى السِّنَّ فالسِّنُّ رُقَى تَمْلأُ العَيْنَ بِسِحْرِ السَّاحِرِ
رِقَّةُ العَيْنِ عَجيبٌ أمرُهَا حُلْوُهَا الأوَّلُ عَذْبُ الآخِرِ

***

ذلك المَجْدُ مِن الرَّبِّ ألاَ
تشكرين الرَّبَّ شُكْرَ الزَهْرَةِ

(*) المال ١٢/ ٥/ ٢٠١٠ .

هَيَّأ الجَوَّ لِكَىْ تَحْظَىْ بِه وانْتَقى البَذْرَةَ تلْوَ البَذْرَة
لِيبُوحَ الحُسْنُ فى دَهْشَتِهِ بالذى تُخْفى دُهُورُ القُدْرَةِ
حَىَّ هَمْسَ الحُسنِ فى نَشْوتِهِ مِنْ بَرِيقِ الطَّرْفِ حُلْوِ النَّظْرَةِ

***

مُعْظَمُ القَسْوةِ فَهْمٌ يا أخِى يَتَغَاضَى عَنْ مَكَانِ الألَمِ
والذِى يَأكُل لَحْمًا مِثْلَنَا يُقْنِعُ العَقْلَ بِذَبْحِ النَّعَمِ
قد قَسَا فى الذئبِ قَلْبُ الآدَمِى وقَسَا عِنْدَ اشْتدَادِ النَّدَمِ
شَوَّهَ المحْبُوبَ فى الحُبِّ وقد غَازَلَ الغَيْبَ بِنَحْرٍ وَدَم.

***

عِشْتَ بالتكْرَارِ مِنْهُ نشْأتُكْ وعَلَى التكْرَارِ تَبْنى دَوْلَتَكْ
أيّها الراقِصُ يَقْفُو راقِصًا ذلك الصافِقُ يُنْهى رَقْصَتَكْ
نَظَّمَ الوَحْدَةَ إذْ رَدَّدَهَا ومَضَى المَاضِى لِتَقْرَا قِصَّتَكْ
وأشَاع الخَوْفَ مِن قِلَّتِهَا لَنْ يُطيلَ القَصَّ فاغْنَمْ فُرْصتَك.

***

عَقْلِىَ البَدَوِىُّ كم جَالَ سُدًى فى فَيافِى الشوقِ لا يَبْغى القِرَى
ذلك الشارِدُ يَقْفزُ شَارِدًا يَطْلُبُ العَتْمَةَ حُبًّا فى السُّرَى
لم يَزَلْ يترُكُ صُبْحًا لدُجًى صاعِدَ النَّجْمِ بَطىء القَهْقَرَى
لا تَرَاهُ فى مَبَانِيهَا القُرَى كَرِهَ السَّقْفَ وعَافَ الحُجَرَا

***

لا تَقِفْ مِنِّى بعيدًا كإلَـه تَمْنَحُ الإرْشَادَ والنُّصْحَ الثمِينْ
كُلُّ نُصْحٍ يا طَبِيبِى وَصفَةٌ قَلَّمَا يَنْجَعُ فـى دَاءٍ دَفِيـن
قِفْ مَعِى فِعْلًا على أرضِ الشّقا وافْهَمْ الإنسانَ فهْمَ البائسيـنْ
ولْتكنْ أوْسَعَ منِّـى خُلُقًـا ورِحابًا فى عِتَابِ الآخرِيـن

***

قد تَحَسَّسْتُ طريقى صَوْبَـه رُبَّما حَـارَ طريقى وَعَـرجْ
وهْو قَدْ لَفَّتْ شَرِيطى كَفَّـهُ يَحْذر الأعْمَـى على الدَّوْر دَرَجْ
لامَتْ العِمْيَان أعمَـى مِثْلَها وَسَعَ الخَطْوَ قَلِيلًا فَخَـرجْ
قُلْ لِمَنْ غَابَ طَرِيقى نَحْوَهُ ماعَلَى الأعْمَى حَنانيـكَ حَرَج

***

لا تُفَسِّرْ لى لماذا جِئْتَ بى ليسَ يُجْدِينى فإنّى هَـا هُنَـا
أحْفظُ الوَهْمَ من الوَهْمِ وَلاَ أقْبَلُ الواقِعَ مَنْ غَيْرِ مُنَـى
هلُ يؤَدّى لِى حِسَابٌ عِنْدَما يُنْتَهى بالموْتِ ذاكَ المُنحَنَـى
ما الذى أعْرِفُ ـ إنّى مُسْرِفٌ قد تَخَيّلْتُ حِـوارًا بَيْنَنَـا

*****